

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يدلي بحديث لإذاعة «فرانس أنتير»

بثت الإذاعة العمومية الفرنسية «فرانس انتير» حديثا لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ضمن برنامجها «راصدو القرن»

وقد تطرق صاحب الجلالة خلال هذا الحديث الذي أجراه معه السيد جاك شانسيل إلى القضايا الكبرى التي تناولها كتاب «الحسن الثاني ـ ذاكرة ملك». كما قدم تحليله وأدلى بآرائه حول خصوصية النظام الملكي المغربي والسلطات الدينية والدنيوية لملك المغرب والاختيارات الأخلاقية والسياسية للمملكة. كما تطرق صاحب الجلالة لممارسة الملك لمهامه وإلى فترة شبابه كولي للعهد وتمرنه إلى جانب جلالة المغفور له محمد الخامس والحرية الخلقية التي يجب أن يتحلى بها كل رئيس دولة والوضعية الدولية والأحداث الهامة خلال فترة حكمه والعلاقات الفرنسية ـ المغربية والتطرف الديني.

وخلال استعراضه للأحداث التاريخية التي شهدها القرن الحالي والمغرب المعاصر تحدث صاحب الجلالة من جهة أخرى عن دور التربية والقيم العائلية مبرزا خصوصية النظام الملكي المغربي الذي يجعل من الملك أب الجميع والمدافع عن الجميع وحريصا على أن يكون دائما في مستوى البيعة التي تربطه بالشعب.

وفي ما يلي النص الكامل لحديث صاحب الجلالة :

جاك شانسيل : إن الملك الحسن الثاني يعتبر إلى جانب العاهل الأردني الملك حسين عميد رؤساء الدول الحاليين ومع ذلك فهوأحد القادة الأصغر سنا. إنه رئيس دولة لكنه أكثر من ذلك ملك بل وفوق هذا وذاك سبط الرسول وأمير المؤمنين.

وقد اختار لبلده ـ الذي هو في طليعة بلدان المغرب العربي ـ التعددية السياسية منذ البداية قبل اثنين وثلاثين سنة، وفي نفس الوقت لم يختر الإنحياز إلى الشرق الذي كان موضة خلال تلك الفترات الغنية بالتحولات. إن راصد القرن الذي نقدمه لكم هو صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب.

سؤال : إنكم يا صاحب الجلالة تصنفون رجال السياسة في ثلاث فئات الثائرون والمحرضون ورجال الدولة، وأود أن أسألكم بهذا الخصوص عن الفئة التي تنتمون إليها ؟

جواب جلالة الملك : يمكنني أن أقول إني مزيج بين المحرض ورجل الدولة.

سؤال : هل أنتم محرضون بكل تأكيد؟

جواب جلالة الملك : نعم لأني ولمدة خمسة عشر سنة من حياتي ناضلت ونظمت مظاهرات كادت أن تتحول إلى أحداث، إذن أنا أجمع بين صفة المحرض ورجل الدولة .

سؤال : بصفتكم كنتم محرضين يمكن القول أنكم كنتم من المناهضين لفرنسا في وقت من الأوقات ؟

جواب جلالة الملك : نعم بالطبع لقد كنت مناهضا للاحتلال الفرنسي أينما كان، لكن ينبغي أن أقول إنه لم يعد هناك الآن أي سبب يدعوني لأكون محرضا . أنا رجل دولة فحسب وليطمئن الجميع .

سؤال : بقي شيء ما من آثار الاحتلال الاستعماري لكنه ربما شيء إيجابي ؟

جواب جلالة الملك : نعم وهو أنه عندما تنجز الأمور باتقان وإحكام فنادرا ما ننتبه إلى من قام بها، ونظام الحماية لم يقم فقط بأشياء سلبية . لقد ترك لنا بعض الإدارات التي نفخر بها لأننا حافظنا عليها وحسناها لقد شرعت سلطات الحماية في إقامة شبكة من الطرق كانت هي العمود الفقري لكل الشبكة الطرقية المغربية وكذلك بعض التجهيزات المينائية .

وفي ذلك العهد لم نكن نصنع التبغ كما تم اعتماد نظام احتكار الدولة لقطاع الفوسفاط وهذا شيء مهم إذن لا يجوز أن نقول أن كل ما أنجزته الحماية كان سلبيا بل يمكن القول أن بعض رجال الحماية هم الذين كانوا سلبيين .

سؤال : إذن فأنتم ملك وسبط الرسول وأمير المؤمنين والناطق باسم أخلاقيات معينة للإسلام فأي مسؤولية تقع على عاتق رجل من الطبيعي أن تكون له نقط ضعف؟

جواب جلالة الملك : إنها نقط ضعف يستمدها الإنسان من قوته الذاتية لأن كل شيء أو مخلوق لا يجد قيمته الحقيقية إلا في التناقضات التي ينطوي عليها أو التي يعيش فيها أنها بالذات نقط هذه هي التي أحاول أن أحاربها كلما اكتشفتها أني أحاول محاربتها لأتخلص من عائق في الحياة التي أعيشها يوميا .

سؤال : لكن هل لديكم الانطباع يا صاحب الجلالة أنكم شخص يختلف تماما عن الآخرين وبالتحديد عن باقي رؤساء الدول ؟

جواب جلالة الملك : أبدا، فأنا كالآخرين أعيش فترات تردد وفترات ضعف وفترات أخرى .

سؤال : وأخرى لا تعترفون بها .

جواب جلالة الملك : سأبوح بها في ما بعد .

سؤال : ألا يمكنكم البوح بها الآن ؟

جواب جلالة الملك : إني أعترف بأخطائي بسهولة أكثر من اعترافي بترددي، ولكني لا أخفي شيئا على مساعدي حتى يعرفوا حق المعرفة العوامل التي جعلتني أتردد وحتى لا يعتقدون بأن قرارا ما اتخذته باستخفاف أو بشكل اعتباطي .

سؤال : جلالة الملك إننا نلتقي منذ عشرين سنة ومعروف عنكم تكتمكم، لكنكم فجأة خرجتم عن تكتمكم هذا بحيث شاهدناكم في برنامج 7 على 7 مع الصحفية آن سانكلير وفي «ساكري

ســواري»، ولكن في تلك الحالـة ظهرتـم كجد فهل تعتقـدون أنـه من الضروري الآن أن تأخـذوا على عاتقكم مهمة تبليغ فكركم إلى الآخرين ؟

جواب جلالـة الملك : ليس ذلك أمر ضروري ولكنه واجب، إنه واجب الـدفاع عن النفس من أجل بلدي، وسأدافع عن نفسي ضد ما يقال في حقي من سوء، وسأقـوم بذلك بشجاعة وحزم اعتبارا للعلاقـات الحميمـة القائمـة بيني وبين شعبي، وكذا اعتبارا لإصرار البعض على النظـر إلى المغرب من خـلال الحسن الثاني . فقـد سعيت دائما لكي لاتمس سمعـة المغرب من خـلال المس بشخص الحسن الثاني، ولهذا السبـب رفعت راية الدفـاع عن أفكاري لأنـه ينبغي على المرء أن يكون وطنيـا في كل وقت ومهما تكن الظروف .

سؤال : لماذا يريد البعض أن ينال من سمعتكم ؟

جواب جلالـة الملك : إني أشعر بأن ما يقال عني ومـا يؤاخذني عنه البعض أمـر مبالغ فيه، وفي بعض الأحيان لا وجود لـه إطلاقا . إذن فهذا تهجم واعتداء . إنه اعتـداء لأني أعتبر أن الذين يلصقون التهم بي ينبغي أن يتحلوا بالحكمة ويتحروا الحقيقة .

سؤال : صاحب الجلالـة بعد قليل سنعود إلى هذا الموضـوع لأنكم لا تترددون في الحديث عنه في هذا الكتـاب الذي هو منـاسبة لقائنـا، وأود أن يكون حديثنـا بمثابة حصيلـة، فأنتم اليوم ضيف على برنامج «راصدو القرن» وكتاب «الحسن الثـاني ذاكرة ملك» صدر عن دار النشر «بلون»، وفيه تجيبون عن كل الأسئلة التي تطرح عليكم ، إذن أود في البـداية معرفة مـا إذا كنتم سعداء بأن ينشر كتاب من هذا القبيل ؟

جواب جلالة الملك : ردا عمن يستغرب كوني أجبت عن جميع الأسئلة أقول ببساطة أني أريد أن يكون العمل المقدم جيدا .

فلو كـان إيريك لـوران يرغب في تأليف كتاب عني، كنـا سنتحدث عن ذلك دون الـدخول في التفاصيل، علما بأنـه بفضل براعتـه وموهبتـه ككاتب سيتفنن في الحديث على شخصيـة الحسن الثاني والقاريء سيكون حرا في الحكم على ذلك .

ولكن بما أننا اشتركنا في إعداد هذا الكتاب فقد تحرينا الدقة والحقيقة ولذلك جاء هذا المؤلف في شكل سؤال وجواب .

سؤال : ألم ترفضون الإجابة عن أي سؤال ؟

جواب جلالة الملك : أبدا .

سؤال : هل تتأسفون لعدم طرح سؤال معين عليكم ؟

جواب جلالة الملك : وما عسى أريك لوران أن يضيف من أسئلة .

سـؤال : إنكم تتميزون بحس نقـدي بالقـدر الذي يـؤهلكم لتحليل شخصيتكم، هل لكم أن تحددوا موقع الحسن الثاني على المستوى العالمي وأي مكانة تضعون فيها نفسكم ؟

جواب جلالة الملك : إن هذا السؤال هو بمثابة دعوتي للنظر إلى نفسي في المجهر وفي الحقيقة فقد صنفت تصنيفا سيئـا فعندما يتحدث البعض عن القصر يقصـدون بالضرورة البلاط غير أن القصر في

المغـرب أو في البلدان العـربية الأخـرى يختلف تماما عن القصـور الملكية في أوروبـا فأولا لا وجود لفئة النبلاء في مجتمعنا، وهذا أمر هام جدا وبالتالي فلا وجود عندنا للاقنان ولا للإقطاعيين، وثالثا لا وجود عندنا للحاشيـة ولا للحاجب الأول والثاني والثالث والرابع، ولا للقيم على البلاط، فـلا وجود إطلاقا لهذا المشهد في تنظيم حيـاتنا اليوميـة. إننا نعيش كما تعيش عائلـة كبيرة وبطبيعة الحال فإنني كملك لي امتيازات وواجبـات ولو كانت هنـاك فقط امتيازات فإن الأمـر لن يطاق، وإذن فهناك أيضـا واجبات والامتيازات بطبيعتها ليست خطيرة بينما يمكن أن تنطوي بعض الواجبات على أخطار كثيرة.

سؤال: قلتم إنـه لا وجود لهذا المشهد الذي كـان موجودا من قبل في البلاطـات ويمكنني القول بأن الأمر لا يتعلـق ربما بنفس الشيء، لأن البلاط له مفهـوم معين. فلا يتعلق الأمـر بالبـلاط كما كان معروفا بما يحتوي عليـه من حاشية وغير ذلك ولكن أقصد بالبلاط التقاليـد المرتبطة به وربما تكون تلك التقاليـد أهم شيء لأن النظام الملكي بالمغرب نظـام عريق، وهذا يتجلى فيمن يحيطـون بكم من خلال طريقة لباسهم وتنقلاتهم. إن ذلك يتم وفق نمط معين؟

جواب جلالة الملك: فلنقل إذن إن الأمر لا يتعلق لا ببلاط ولا بغيره، وإنما بمدرسة لأن القصر شكل منذ عهد الأدارسة إلى يومنا هذا مدرسة لتهـذيب الذوق في البناء والأزياء التقليدية والثقافة والفن المعماري بجميع أوجهها سواء تعلق الأمر بالطرز أو الطبخ أو التأثيث أو بشكل تجليد الكتب بحيث إن هناك شكل خاص لتجليد الكتب بالقصر الملكي، إنها مدرسة قائمة بذاتها وثقافة بأكملها ونحن حماة هذه الثقافة وفي بعض الأحيان يصعب علينا مقاومة بعض الأمور المستحدثة فنقبلها.

سؤال: هنا تكمن صعوبة الجمع بين احترام التقاليد والبحث بأي ثمن عن الحداثة؟

جواب جلالة الملك: ليس بأي ثمن.

سؤال: ومع ذلك فنحن نعيش في قرن سمته التقدم وعلى بعد سنوات فقط من الألفية الثالثة؟

جواب جلالة الملك: إن الأمر يتوقف على معرفة المقصود بالحداثة.

سؤال: أتقصدون مخاطر الحداثة؟

جواب جـلالة الملك: إذا كان المقصود بـالحداثة القضاء على مفهـوم الأسرة وعلى روح الواجب إزاء الأسرة والسماح بالمعاشرة الحرة بين الرجل والمرأة والإباحية في طريقة اللباس بما يخدش مشاعر الناس إذا كان هذا هـو المقصود بالحداثة فإني أفضل أن يعتبر المغرب بلدا يعيش في عهـد القرون الوسطى على أن يكون حديثا.

سؤال: إنكم تتحدثون باستمرار عن هذا المفهوم النموذجي للأسرة؟

جواب جلالة الملك: نعم.

سؤال: هل لأنها تمثل القيمة الأساسية؟

جواب جـلالة الملك: إنها بالفعل القيمـة الأساسية، لأنـه مهما يكن قدر المرء ـ كما كـان يقول والدي تغمده اللـه برحمته ـ فإنه لن يتعلم أبدا كيف يحكم إذا لم يكن يعـرف كيف يطيع، والواقع أننا نتعلم كيف نطيع داخل أسرنـا، وحتى داخل أسرة الحطاب على سبيل المثال، فإن الطـاعة تكـون لرب الأسرة، وعنـدما نتعلم كيف نطيـع نتعلم كيف نحكم وإلا فإننا لن نعـرف مـاذا ينبغي أن نطلب من

الآخرين وما لا ينبغي أن نطلبه منهم.

سؤال : إن اسم الحسن ملك المغرب مسجل في تاريخ القرن العشرين من خلال 32 سنة من الحكم، وهذا القرن غني بالأحداث، على كل حال غني بما هو جميل لكنه أيضا غني بما هو مرعب. فبماذا تذكرون هذا القرن هل بالمآسي التي عرفها أم بالتقدم العلمي أم بشيء آخر ؟

جواب جلالة الملك : بالنسبة لي أعتبر مرحلة ما بعد الحرب من أهم المراحل لأنني عشتها مع جميع أبناء جيلي من الشباب ؛ لقد عشناها جميعا ومن دون أن نعرف أسباب هذه الحرب ولا المآسي التي خلفتها، لأننا في سننا ذاك لم نتمثلها حقيقة. لقد تولد لنا الانطباع بين عشية وضحاها أن عبئا ثقيلا قد أزيح عنا فتنفسنا الصعداء وشعرنا بفرح غامر. ولست أدري إن كنتم تفهمون ما أود قوله. ومباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حدث شيء ما مصحوبا بالفرح، لا أقول الفرح الجماعي فقط، وإنما الفرح الإنساني. لقد كان الجميع راضيا وربما بنفس الطريقة لقد كانت هذه اللحظات من اللحظات القوية التي أذكرها جيدا.

سؤال : قبل أن تكونوا ملكا كنتم أميرا وأتيحت لكم إلى جانب والدكم فرصة الالتقاء بكبار هذا القرن. فهل يمكنكم أن تذكروا لنا أبرز هؤلاء الكبار ؟

جواب جلالة الملك : مع الأسف أعرف الكثيرين منهم في العالم العربي لكون حقلي الدفاع والديبلوماسية - كما تعلمون - كانا من اختصاص سلطات الحماية، ولم تتح لنا بالتالي إمكانية التعرف على رؤساء الدول العربية، لقد كان بيننا وبين العالم العربي ما يشبه الجدار.

سؤال : وغورباتشوف الذي يجري الحديث عنه اليوم كواحد انسحب من الساحة وتخلى عن الحكم ؟

جواب جلالة الملك : لم أعرف غورباتشوف ولكنني عرفت خروتشوف.

سؤال : هل تعتقدون أن رجلا مثل غورباتشوف يمكن أن يعود الى سدة الحكم. إني أتحدث عنه لكونه زار مؤخرا فرنسا في إطار جولة قادته الى عدد من البلدان واستقبل حيثما حل ؟

جواب جلالة الملك : أعتقد أن له كل الحظوظ للعودة الى الساحة فهذا حدسي.

سؤال : وهل أنتم قلقون يا صاحب الجلالة مما يحدث في روسيا؟

جواب جلالة الملك : مع الأسف حينما نتحدث عن روسيا نتوقف عند جبال الأورال وننسى أن روسيا تمتد إلى اليابان؛ وهنا قد تقولون لي بأنها أرض خلاء، بمعنى أنه ليس بها سكان ولا حضارة ولا ثقافة. إن سيبيريا بطولها وعرضها ستشكل حقا العالم الجديد الذي ينبغي اكتشافه والذي يتعين أن يكتشف نفسه بنفسه.

إذن مشكل مستقبل روسيا بالنسبة لي مشكل مزدوج، فهو قائم على يمين ويسار الأورال دون أن نضع في الاعتبار الجوار وبيئة الجزء الثاني المتمثل في سيبيريا إنه الجزء الذي نجهله. إن الأمر يتعلق بحضارة أخرى وبجنس آخر إنه الجنس الأصفر.

سؤال : وهل يشكل ذلك خطرا في نظركم ؟

جواب جلالة الملك : لا يمكنني أن أقول لكم بأنه يشكل خطرا ولكن على كل حال فكل شيء



مجهول يشكل خطرا، لأن الإنسان بطبعه يؤمن بالخرافة. لقد عاش الإنسان في الكهوف ومنذ البداية ظل عالقا بأذهاننا هذا الخوف القديم قدم التاريخ من الظلام والرعد والأصوات الغريبة أثناء الليل. فهذه طبيعة الإنسان، فكلما كان هناك المجهول فهناك نوع من القلق الذي يتولد عنه نوع من الخوف.

سؤال : صاحب الجلالة إننا نتحدث عن روسيا ويوغوسلافيا ولكن لا يمكن أن يغيب عن بالنا ما يجري حاليا في إفريقيا. فهل أنتم قلقون إزاء ما يجري في الصومال وليبيريا؟

جواب جلالة الملك : إنني قلق جدا لأن إفريقيا انشطرت إلى قسمين: فهناك الدول الإفريقية التي قلدت تقليدا أعمى النظام الاشتراكي وأخذت به، وهناك الدول الإفريقية التي حافظت على نوع من الهوية والخصوصية. وأعتبر أن الوضعية بالنسبة للفئة الأولى مأساوية، فربما ينبغي وضع مخطط شبيه بمخطط «مارشال» خاص بالبلدان التي اعتمدت الاشتراكية على النمط السوفياتي، علما بأن روسيا نفسها رغم إمكانياتها وطاقاتها ستبقى رواسب كثيرة عالقة بها، فما بالكم بالبلدان الإفريقية الصغيرة التي لم تجن أرباحا ولم تحقق مكتسبات من النظام الاشتراكي. إذن لابد من مساعدة دولية لإنقاذ هذه البلدان التي أصبحت على حافة الهاوية. وهناك بعض البلدان الإفريقية التي لم تأخذ كلية بالنظام الاشتراكي ولكنها اقتبست منه فقط نظام الحزب الوحيد والتي يصر البعض على أن يفرض عليها بين عشية وضحاها نظاما ديمقراطيا. وهنا أطرح السؤال التالي ـ إذا لم يكن هذا سيخرج عن حديثنا بما أنني أرصد مجريات الأحداث ـ كيف يمكن للمرء أن يتصور في بلد إفريقي، حيث التقاليد القبلية والعرقية عريقة، ألا يكون الرئيس هو الرئيس الحقيقي ويقال للرئيس أنت رئيس ولكن فقط من أجل امتطاء السيارة واستقبال المدعوين، بينما الرئيس الذي سيحكم الآخرين هو رئيس وزرائه؟ إن هذا الأمر غير مستساغ بالنسبة إليهم. فلابد من بعض الوقت لبلوغ هذا الهدف. ثم إنه ليست هناك الديمقراطية الفرنسية وحدها بل هناك النظام الديمقراطي الإنجليزي والنظام الديمقراطي الأمريكي. إن الإنجليز ديمقراطيون فهل سيقبل الفرنسيون مثلا بأن يطبق عليهم النظام الديمقراطي الانجليزي؟

سؤال : في الوقت الذي اتجه فيه البعض إلى الشرق واختار نظام الحزب الوحيد لم تنساقوا مع هذه التقليعة واخترتم التعددية الحزبية فكيف اهتديتم الى ذلك ؟

جواب جلالة الملك : إن هذا الامر هو من صميم أخلاقيات نظامنا الديمقراطي ذلك أن ملك المغرب بصفته أمير المؤمنين يجب أن يكون أب الجميع والمدافع عن الجميع. وإذا كان هناك إذن الحزب الوحيد فمن اللازم على ملك المغرب أن يكون رئيس الحزب الوحيد، وهذا لا يمكن تصوره لأن أي حزب وحيد لا يبقى متراص الصفوف، ذلك أنه في يوم من الأيام سيعرف انشقاقا، والحالة هاته ما عسى أن يفعله الملك فمع من سيكون؟ مع تيار المجددين أم مع المحافظين أم هل سيقوم بحل الحزبين؟ فهذا سبب من الأسباب، وهو سبب أخلاقي فضلا عن الاختيار السياسي الذي يرفض نظام الحزب الوحيد، وأعتقد أن القليل من المحللين يدركون ذلك.

سؤال : وهل كنتم على صواب؟

جواب جلالة الملك : أعتقد أنني كنت على صواب، ولهذا لا يقبل في المغرب أن يقول الملك إنه يميل إلى تأييد حزب معين أكثر من حزب آخر، فالملك فوق الجميع ومع الجميع.

سؤال : إنكم سبط الرسول وأمير المؤمنين ويتميز بلدكم ـ وهذه ظاهرة غير عادية ـ بالتسامح

على اعتبار أن المسيحيين واليهـود والمسلمين يتمتعون في بلدكم بنفس الحقوق تمامـا . إنني تعودت على التجول عبر مختلف أنحـاء المعمور وعند زيـارتي لإسرائيل - وأعرف عـدد اليهود المغاربـة الموجودين في إسرائيل - قلت في قرارة نفسي إن المغرب يفتقد بعض هؤلاء اليهود ؟

جواب جلالة الملك : بالفعل نحن نفتقدهم ، فنحـن لا نفتقدهم من الناحية العاطفية فحسب ولكن أيضـا من النـاحية الاجتماعيـة . إن المغـرب فقد طبقـة كـاملة من المجتمـع المغربي وهي الطبقـة المتوسطة ، إنه نزيف مازلنا نشعر به ولكنهم سيعودون في نهاية المطاف .

سؤال : هناك إذن الاختيارات السياسية المتعلقة بالتعددية ، وهناك اختيارات في ميدان الفلاحة ، وما قمتم بـه في الصحراء والـذي خلق لكم العديـد من المشاكل ، ويـلاحظ مع ذلك أنه نتـاج ملكية عريقة وأن سلطتكم في جوهرها سلطة روحية أيضا؟

جواب جـلالة الملك : لا أريد هنـا الحديث عن الغاية من وجـودي وإنما الغاية من كـوني ملكا للمغرب ، أي في مستوى ما ينبغي لي أن أكونه دائما ، فعلي أن أكون دائما في مستوى عقد البيعة .

سؤال : ماذا تقصدون بعقد البيعة ؟

جواب جلالة الملك : إن عقـد البيعة هو أن يضع الملك يده في يد شعبه الـذي يعاهده بأن يظل وفيا ومخلصا له ، وبالمقابل يتعهد الملك بالدفاع عن الشعب والسهر باستمرار على رخائه وكرامته ، ففي هذه الحالة يجد الملك نفسه ملزما بالتعامل يوميا مع ماهو روحي ومع الفضيلة ؛ لذا تراني أتساءل عما إذا كنت حقا قد قمت أحسن قيام بواجبي الروحي الـذي هو أن أكون في مستوى هذه البيعة ، فبعد ذلك فقط يمكن الاهتمام بما هو دنيوي . وعنـدما يقوم المرء بذلك بضمير حي فإن ذلك قـد يقوده إلى نوع من التصوف .

سؤال : على ذكر التصوف ، ألا يمكنكم يا صاحب الجلالة أن تذهبوا أبعد شيئا ما في معنى هذه الكلمة ، لأنني طالما تساءلت عما إذا كنتم ستقررون الاعتزال يوما ؟

جواب جـلالة الملك : من قـال لكم بأني لا أفكر في ذلك ، فـالحقيقة أني متعب جـدا بعد اثنين وثلاثين سنة من الحكم .

سؤال : بالفعل إن مدة اثنين وثلاثين سنة مدة طويلة جدا ؟

جواب جلالـة الملك : إنها مدة طويلة جدا عندمـا ننظر إلى ما قمنا به وهي ليست طـويلة إذا ما نظرنا إلى الأشياء التي بدأناها ولم نتممها بعد ، لا أعرف كيف أشرح لكم ذلك .

سـؤال : إنكم بالتأكيـد تقفـون سدا منيعـا في وجه التطـرف الـديني بكل أشكالـه على الأقل في المغرب؟

جواب جلالـة الملك : لست أنا الذي أقف في وجهه . . فـأنا ضامن التوازن فقط والمغـاربة ليسوا متطرفين لأن التطرف ينتهي دوما إلى شكل من أشكال الديكتاتورية ، والمغربي لايقبل الديكتاتورية بتاتا حتى ولو كانت بـاسم الدين ، لأنه يعرف أن الله ليس بمستبد وإنما هـو غفور رحيم . ويعرف أن الله فتح لنا باب الاجتهـاد لبناء مجتمعنا على ضوء تطـور العالم . والمغربي لن يقبل أبدا التطـرف الديني لأنه يعني العودة إلى الوراء والظلامية والتماثل بين الجميع .

سؤال : هل تعتبرون التطرف مجرد فلتة؟

جواب جلالة الملك : إن إشكال التطرف تختلف لأن مصدرها ليس واحدا . فليس لأشكال التطرف نفس المبررات أو نفس الأسباب . فالدافع إلى التطرف عند البعض هو ظاهرة المغالاة في العلمانية والإباحية ، وعند آخرين هو المشكل الاقتصادي والاجتماعي ، وعند فئة ثالثة هو الحرمان من الحرية بسبب ممارسة السلطة من طرف حزب واحد لمدة طويلة . لكن ليس للتطرف دوما أساس ديني ، ذلك أنه بالنسبة للتصوف ـ وقد تحدثنا عنه قبل قليل ـ نكون أمام حالة نفسية غير منفتحة على الغير، ولا يمكن نقلها له . إذ بإمكان المرء أن يكون متصوفا وله إشعاع لكن لا يمكنه أن يقنع آلاف الأشخاص بأن يصبحوا متصوفين مثله . أما على صعيد الايديولوجية الدنيوية ، يمكن للمرء أن يكون له أتباع ويمكنه في هذه الحالة أن يؤسس مدارس ، لكن بالنسبة للتصوف تكون هناك مدرسة لهذا المتصوف أو ذاك إلا أن هذه المدرسة تكون دائما خاصة بصاحبها .

سؤال : بالمقابل هناك أشكال متعددة من التطرف؟

جواب جلالة الملك : نعم للتطرف أشكال مختلفة .

سؤال : هل يقلقكم هذا التطرف؟

جواب جلالة الملك : إن التطرف في رأيي دوما وراء مغامرة ، ففيه يبدأ المرء متطرفا وينتهي إرهابيا .

سؤال : لقد تطرقتم في حديثكم مع إيريك لوران لطفولتكم وشبابكم وخاصة لتصور والدكم للتربية وحرصه على أن تعيشوا كما يعيش الجميع . فهل يمكن للمرء أن يعيش كما يعيش الجميع عندما يكون أميرا ووليا للعهد ثم ملكا؟

جواب جلالة الملك :. نعم، لقد عشت فعلا كما يعيش الجميع ويمكنني أن أقدم لكم بعض الأمثلة التي لم أقدمها في الكتاب تفاديا للتطويل . لقد حصل أن ارتديت نفس البذلة لمدة سنتين أو ثلاث سنوات ، وكان والدي يطلب الخياط أن يترك هامشا في ثنايا سراويلي لأنه لم يكن يريد أن أغير لباسي في كل فصل . لقد حصل لي هذا كما حصل لي أن اكتتبت مع رفاقي من أجل شراء زجاجة كوكاكولا ذات يوم ، ولسنوات كنت أحجز تذكرة السينما بنفسي ملتزما بالصف كما الجميع .

وكان ذلك يسرني كثيرا . نعم لقد عشت كما يعيش الجميع وكان يسعد والدي أن يعرف أنني ألعب الكرة في الشاطيء مع شخص قد يصبح يوما نزيل أحد السجون أو منتسبا لأحد المعاهد ، وهكذا يمكنني القول إذن أنني عشت كما يعيش الجميع .

سؤال : يبدو لي أيضا أن احتكاكم بالحضور الفرنسي وببعض الرفاق الفرنسيين ، وفي نفس الوقت اكتشافكم لما كان يمثله هذا الحضور من عجرفة ومقت لا يطاق ، جعلكم ـ وهذا ما أثارني ـ تكتشفون العنصرية؟

جواب جلالة الملك : نعم .

الصحفي : العنصرية بمعنى الكلمة؟

جواب جلالة الملك : نعم لأننا نحن المغاربة كنا دائما نخاطب بصيغة المفرد وقد حصل لي ذلك

مرارا وتكرارا إلا عندما كنت أخرج مرفوقا بأحد ويتبينون أنني الأمير، فعندئذ لا يخاطبونني بصيغة المفرد، وزيادة على ذلك حدث مرارا أن نودي علي ب«تعالى يا السي محمد» بل منعت أحيانا من الدخول إلى نادي أو مسبح وحتى عندما كنت أكشف عن هويتي كانوا يقولون لي في هذه الحالة يمكنكم أن تعودوا لكن لاتنسوا أن تأتو مصحوبين بكشف طبي يثبت أنكم غير مصابين بداء السل.

سؤال: في بلدكم؟

جواب جلالة الملك: نعم في بلدي وهناك شهود، انني عشت مع الآخرين.

سؤال: فهل تعتقدون أن هذا الزمن قد ولى ولو أن عودة العنصرية عمت مختلف الجهات؟

جواب جلالة الملك: كلا لقد ولى هذا الزمن فعلا إن ذلك لم يكن عنصرية.

الصحفي: فماذا كان إذن؟

جواب صاحب الجلالة: لقد كان ذلك غطرسة استعمارية ولم يكن عنصرية.

سؤال: لكن كيف تفسرون ياجلالة الملك صمود الصداقة الفرنسية ـ المغربية رغم كل ذلك؟

جواب صاحب الجلالة: لقد صمدت بفضل الطبيب والمعلم والأستاذ، وكما قلت في كتابي بفضل فرنسيي فرنسا. لقد كان معلمونا وأساتذتنا وأطباؤنا أناس ممتازون، فهم لم يسعوا إطلاقا الى التدخل في تطلعاتنا، بل ربما كانوا ينظرون اليها في قرارة أنفسهم بنوع من العطف الأبوي كعطف المعلم على تلميذه. وإذن فإن من أنقذ سمعة فرنسا هنا هم أطباؤها وأساتذتها وأيضا فرنسيو فرنسا. ونحن المغاربة الذين تعلمنا على أيدي هؤلاء الأساتذة الفرنسيين، نخصهم بنفس التبجيل والاحترام الذي نخص به معلمينا المغاربة.

سؤال: صاحب الجلالة، لقد قلتم إنكم كنتم طفلا عنيفا إلى حد ما، ثم أضفتم لقد كان والدي تغمده الله برحمته، يتمتع على الدوام بصبر لاينفذ وأنا شخصيا أقل صبرا منه لكنني أكثر تفاؤلا. فماذا تقصدون بذلك هل تقصدون أنه لم يكن متفائلا وماذا تقصدون بكونكم أقل صبرا منه؟

جواب صاحب الجلالة: هذا يعني أن حكمه ـ تغمده الله برحمته ـ كان محدودا في الفيتو وأن الحماية لم تترك له سوى الفيتو كسلطة، أي أن يقول كلا لن أوقع. وقد كان ذلك هو أسلوبه في المقاومة. فإن يقل المرء كلا . . كلا . . ينبغي له أن يتحلى بقدر من الصبر. أما أنا فما كنت سأكتفي بحكم مزاجي بقول لا، بل كنت سأزيد عليه شيئا آخر. لهذا السبب أقول إنه كان صبورا جدا فقد كان يعلم أن الزمن يلعب لصالحه وأنه كان ينبغي الحفاظ على ما هو أساسي، ولهذا الغرض كان يستعمل كلا لن أختم.

سؤال: ماهي الخصال التي ينبغي أن يتحلى بها ملك أو رئيس دولة أو رجل سياسة على العموم. لقد طرح جاك أطالي نفس السؤال على فرانسوا ميتران وأجابه: «كان بودي أن أجيبكم بأن أفضل خصلة هي الصدق لكن أهم خصلة في الواقع ينبغي أن يتحلى بها رجل السياسة هي اللامبالاة»؟

جواب جلالة الملك: أنا لست متفقا على ذلك، في ما يخصني أعتبر أن أهم خصلة ينبغي أن يرعاها رئيس دولة هي الحرية، والحرية تعني أن يكون المرء قادرا على أن يقول لمن أراد وجها لوجه مايود أن يقوله له، بحيث لا يعود بمقدوره أن يقول في حضوره أو في غيابه . . لقد نسي يوم فعلنا كذا سويا أو



يوم فعلنا سويا كيت . وهذه الرؤية المعنوية لم أتمثلها إلا بعدما حرمت من حريتي الجسدية خلال السنتين ونصف اللتين قضيتهما بمدغشقر .

سؤال : تقصدون النفي؟

جواب جلالة الملك : المنفى كان عبارة عن حرمان من الحرية الجسدية ، وإذن فقد اعتنقت الحرية وانتبهت إلى أن الحرية الكبرى ليست هي الحرية الجسدية ، بل هي الحرية الفكرية في أن يقول المرء لمن يريد : إنك تزعجني أو أي شيء آخر وجها لوجه . وهذه هي الخصلة التي ينبغي أن يتحلى بها بالدرجة الأولى كل رئيس دولة .

سؤال : هل ليس بمقدوركم أن تكونوا غير مبالين؟

جواب جلالة الملك : لايمكنني أن اشتغل في إطار اللامبالاة ، لأن ذلك يحكم على عملي بالعقم . ولكل طبعه .

سؤال : عند وفاة والدكم قلتم جملة رائعة وذات مغزى عميق وهي . . عندما توفي والدي دفنت معه ولي العهد . .

جواب جلالة الملك : حقا عندما قلت أنني دفنت ولي العهد ، فأنني دفنت بالفعل حياتي الحرة ودفنت أيضا منهجية بكاملها وطريقة لمقاربة المشاكل ، فلم يكن بإمكاني الاستمرار في اتباع منهجية ولي العهد ولم أكن قد تعلمت بعد منهجية من قدر له قيادة البلاد لقد وجدت نفسي أمام فراغ أعطاني الانطباع بأنني دفنت شخصا بالفعل ، ولم أتمكن بعد من خلق شيء يعوض هذا الذي دفنته . وعلى كل حال لايمكن للمرء أبدا أن يتخلص من طباعه أو عيوبه الأصلية ، ومع ذلك أظل مرتبطا ـ أردت ذلك أم أبيت ـ بما كنته في فترة شبابي سواء من حيث تكويني الطبيعي أو طريقتي في التفكير .

سؤال : لقد دفعكم والدكم إلى تدبير شؤونكم بنفسكم وأنتم بدوركم دفعتم ابنكم لتدبير شؤونه . فهل هذه أفضل طريقة لضمان الاستمرارية ، وهل بالإمكان نقل إرث على الصعيد المعنوي .

جواب جلالة الملك : إني لقنت ابني ما لقنه لي والدي وهذا أمر هام للغاية ، وهناك مثل مغربي يقول «اللي ماقرا براتو وما خيط كساتو وما طيب عشاتو موتو خير من حياتو» .

لقد علمنا والدي على الأقل كيف أكون في غنى عن السكرتيرة والمحرر أو أي مساعد من هذا القبيل وأؤكد لكم أن ذلك يتيح حرية واستقلالا كبيرين .

فبإمكاني أن أحرر لوحدي الرسائل التي أريد دون أن أكون في حاجة لمساعدة أحد . وهذا أمر في غاية الاهمية .

سؤال : لقد أوصاكم والدكم عند رجوعكم من مدغشقر قائلا . . لا أريد أبدا الآن أن أسمع منك كلمتي الحقد والانتقام .

جلالة الملك : بالفعل حدث هذا .

الصحفي : إنه من السهل قول ذلك ، لكن يحدث أن ينسى المرء مثل هذه الكلمات .

جواب جلالة الملك : إنني لست حقودا بطبعي .

سؤال : هذا يعني انكم متسامحون .

جواب جلالة الملك : نعم . لكن والدي قال ذلك من حيث المبدأ وليس من أجل تأديبي . فلقد كان يدرك أنه يتوجه بهذا الكلام إلى شخص غير حقود ، وعلى كل حال فإن العديد من الأشخاص لازالوا يقولون عني أني أنسى بسرعة .

سؤال : هل تعرفون أن لكم أصدقاء؟

جواب جلالة الملك : نعم ، أعرف ذلك ولله الحمد .

سؤال : هل تودون أن يذكروكم بذلك؟

جواب جلالة الملك : نعم .

سؤال : لكن ، ألا ترغبون شخصيا في اتخاذ مبادرة وطرح السؤال عليهم .

جواب جلالة الملك : كلا ، لكنني أول من يذكرهم بأنني صديقهم كلما سنحت الفرصة بذلك ، إلا أنني أحبذ أن يكون الشعور متبادلا في هذا الشأن .

سؤال : إن العلاقات الحميمية تعتبر مسألة جد خاصة . لقد قلتم في الكتاب إن أقرب الناس إليكم هم كاتبتيكم وأطباؤكم ، وقلتم ان ليست لكم علاقة حميمية مع الوزراء .

جواب جلالة الملك : أجل ، في هذا السياق هناك الحميمية الفكرية ، ذلك أنه ليس بإمكاني العمل مع وزراء إذا لم تكن لنا نفس الحميمية الفكرية ، لكن بالنسبة لحياتي الخاصة فإن طبيبي الخاص هو الذي يكشف عني وكاتبتي هما وحدهما اللتين تعرفان بدقة ما سأنفقه خلال الشهر المقبل . وهذه الحميمية تختلف عن الأولى .

سؤال : لقد أجبتم - ياجلالة الملك - ردا عن سؤال حول المعارضة بالمغرب بأنه على من أراد معرفة المغرب حقا ألا يصنف المعارضة المغربية كما تصنف في بلدان أخرى مثل فرنسا ، فالمعارضة عندكم مختلفة إذن عن المعارضة عندنا .

جواب جلالة الملك : إنها موجودة ولكنها لاتتعلق بالأشخاص فقد تجدون في مناسبات حفل عقيقة أو زفاف أو بمناسبة مأتم ، الكل وقد تجمعوا يتعانقون أو يتبادلون التحية بعدما تبادلوا القدح عبر الصحافة وفي التجمعات . إنها حياة اجتماعية ليس لها نظير عند الآخرين ، ولهذا السبب أقول إنه لا ينبغي تصنيفهم فيمكنهم أن يتقاسموا نفس العشاء ويلعبوا الورق مع احتفاظ كل واحد منهم بموقفه تجاه الآخر.

سؤال : نعم ، لكن هذا موجود في فرنسا وفي كل مكان ، وأظن إن المعارضة مختلفة هنا بسبب وجود ملك ووجود ملكية؟

جواب جلالة الملك : نعم ، لكن لكل شعب طبعه - وعلى كل حال - لاينبغي أن نتصور أن جميع الناس لهم طبع واحد وبالتالي فطبع المغاربة طبع متميز.

سؤال : لقد أصبحت حقوق الإنسان كما تعلمون من أهم المتطلبات في العالم . فكيف تدافعون عنها . لقد قلتم لي عندما بدأنا حديثنا إنني تعرضت لتهجمات ، وبالتأكيد كان ذلك بسبب حقوق

الانسـان، ونحن نعرف الأسماء التي تتكـرر بـاستمرار في هـذا الصـدد، إنها أسماء أوفقير وبوريكـات والسرفاتي.

جواب جـلالة الملك : أحب كثيرا أن تقـوم الجهات المدعيـة بتنقيبات، لكن شريطـة أن تكون تنقيبات أركيولـوجية، لكن عندما تتكرر التنقيبـات بدون توقف فإن ذلك هو مـا أسميه بتنقيبات أكل الجيف.

سؤال : على كل حال، لقد قلتم ذلك، ففيما يتعلق بأوفقير لم يكن لديكم اختيار، فإما أن يكون هو أو تكونوا أنتم، فهناك إذن خيارات ينبغي للمرء أن يختارها في الحياة، وأنتم حددتم خياركم.

جواب جلالة الملك : كلا، ليس أنا الذي اخترت.

سؤال : لا أقصـد ذلك، ولكن أتحدث بشكل عام، فهل لشخص مـا أن يتدخل في السيـاسة الداخلية لبلد غير بلده، واستحضر جميع الكتب التي ألفت حول هذا الموضوع ؟

جواب جلالة الملك : أعتقد بأنه يمكن القيام بـذلك، شريطة توفر حد أدنى من اللياقة ويجب الاستئذان على الأقل.

سؤ ال : على كل حال، لقد استوحى منكم العديد من الكتاب في مؤلفاتهم ؟

جواب جلالة الملك : بالتأكيد.

سؤال : مثلا هناك كتاب لجيل بيرو بعنوان «صديقنا الملك» ثم صدر له كتاب ثان.

جواب جـلالة الملك : ومن أجل أن يضمن لـه توزيعـا واسعا، كان لابـد أن يختار لـه مثل هذا العنوان.

سؤال : نعم، ثم صـدر له كتاب ثـان بعنوان «سر الملك»، وبما أن الكتـاب الأول لقي رواجا، ساد الاعتقـاد بأن كتاب «سر الملك» هو تتمة للكتـاب الأول «صديقنا الملك»، غير أنه تبين أنـه يروي قصة لـويس الخامس عشر ومصالح مخابرات هذا الملك. وبعـد ذلك صدر كتاب لأبراهـام وكريستين السرفاتي، لا أدري هل تعرفون عنوانه.

جواب جلالة الملك : أعتقد أن عنوانه هو «ذاكرة الآخرين».

سؤال : بل عنوانه هو «ذاكرة الآخر»، وقـد جاء هذا الكتاب بعد صدور كتاب «ذاكرة ملك». هل يسليكم هذا أم تعتبرونه من باب التمييع؟

جواب جلالة الملك : هذا يسليني لأن ذاكرتي ذاكرة حية بينما الذاكرة التي تتحدثون لي عنها الآن هي ذاكرة شخص قال عند نزوله من الطائرة أنا ماركسي لينيني وسأظل كذلك.

سؤال : لقد تحدثنـا قبل قليل عن الإسلام وكان بإمكاننـا الحديث عن إسرائيل، وأستطيع القول إنه بإمكانكم أن تكونوا الرجل وقد كنتم كذلك بـالفعل ـ الذي يباشر نوعا من المحادثات ولكنها تعتبر من أسرار الدولة ـ غير أن هناك جملة وردت في الكتـاب تستحق المتابعة؛ ذلك أنكم قلتم إن لي القناعة بأنه حينما سيتـولى الإسرائيليون المنحـدرون من العالم العـربي مسؤولية فعليـة في تسيير المفاوضـات فإننا سنقترب بشكل جدي من السلام. فهم الذين سيتفاوضون بشكل أفضل، ألازلتم على رأيكم هذا؟

جواب جلالة الملك : نعم، مازلت أعتقد ذلك؛ لأنني لست ضد الإسرائيليين الذين لم يعيشوا مع العرب، ولكن هؤلاء يمكنهم ـ على الأقل ـ أن يشهدوا كما يمكن للتاريخ أن يشهد على ذلك، إنه لم تحدث أبدا مذابح جماعية بين العرب واليهود فلم تحدث إطلاقا في تاريخ المسلمين واليهود مذابح جماعية. وهكذا فإن هؤلاء سيتفاوضون وهم متحررون من عبء تاريخ مأساوي. إني أرفض المذابح وهي لم تقع أبدا عندنا، ثم هناك السامية؛ فحينما يقال عن شخص ما أنه مناهض للسامية فإني أقول احذروا ما تقولون فأنا سامي أيضا.

سؤال : لماذا؟

جواب جلالة الملك : إن العرب ساميون، فحينما يقال عن شخص ما إنه مناهض للسامية فإن ردي يكون : إذا كنتم مناهضين للسامية فأنتم ضدي، إذن فلو نظرنا الى المشكل من هذا المنظار فإن الساميين سيتفاهمون بكيفية أحسن فيما بينهم.

سؤال : وهناك ضرورة إحلال السلام، فهل تعتقدون أن السلام سيتحقق في هاته الربوع قبل القرن الواحد والعشرين؟

جواب جلالة الملك : أعتقد ذلك.

سؤال : هل تؤمنون به ؟

جواب جلالة الملك : نعم، لأن المحيط الجغرافي في هاته المنطقة لن يستقر على حال وسيصبح أمرا لايطاق، ويخشى أن يكون لما يحدث في يوغسلافيا انعكاسات سلبية على العديد من الجمهوريات الأخرى المجاورة لها. وإذا ما ألقينا نظرة على الخريطة نرى أن جميع هذه البلدان لا تبعد عن عاصمة عربية أو عاصمة إسرائيل بأكثر من ألفي كيلومتر، وأعتقد أن المحيط سيضطرنا إلى تحقيق السلام، إن الخوف هو بداية التعقل.

سؤال : اسمحوا لي أن أقول كلمة أخيرة : كنت في الدار البيضاء صباح اليوم وزرت مسجد الحسن الثاني، فمتى سيتم تدشينه؟

جواب جلالة الملك : يمكنني الآن أن أعطي تاريخا محددا، كما تعرفون فنحن كذلك نحتفل بعيد المولد الذي يخلد ذكرى مولد الرسول، سيكون ذلك ليلة يوم 29 غشت 1993.

سؤال : لما ينظر الإنسان لهذا الإنجاز العظيم تأخذه الدهشة، وتساءلت مع نفسي، هل يريد الحسن الثاني أن يحتفظ بلقب الباني ؟

جواب جلالة الملك : في ما يخص المسجد، كان علي أن أعوض الدار البيضاء معنويا؛ لأنني كنت أريد أن يبنى فيها ضريح والدي لأن الدار البيضاء مدينة حديثة العهد وينقصها الأولياء الصالحون، وكل المدن المغربية القديمة يوجد بها عدد كبير من الأولياء الصالحين؛ لذا قلت مع نفسي إن إقامة ضريح والدي في هذه المدينة قد يضفي عليها نوعا من الروحانية، وفيما ما بعد وبفعل الأنانية قلت مع نفسي إن قطع مسافة مائة كيلومتر للترحم على قبر والدي مسافة طويلة شيئا ما، واعتبارا لذلك، قررت إقامة الضريح في الرباط لكني أقسمت حينئذ أن أعوض للدار البيضاء وأن أبني فيها مسجدا كبيرا.



سـؤال : لاشك أنكم سعـداء ، فهـذا المسجـد يعتبرمن أكبر المنجـزات التي تحققت في القـرن العشرين ؟

جـواب جلالـة الملك : أنـا سعيـد بذلك ، ولكن أقـول لكم شيئـا هـو إن سعادتي هي سعـادة صوفيـة ؛ لأنني أومن بالله ، ويقول الـرسول (ص) : «من بني مسجدا يـذكر فيه اسم الله بني لـه الله بيتا في الجنة» .

الصحفي : إن هـذا البرنامج كـان مناسبـة للمستمعين للتعرف عليكم بشكل أفضل ، ولـلـذين يريـدون معرفـة المغرب أمامهم الكتـاب الذي أصـدرته دار النشر «بلون» في شكل حـديث مع إريك لورون .

وأعتقد أنه من خـلال هذا الكتاب سيتعرف القارىء بصورة أفضل على الرجـل الذي يتقلد زمام الحكم بهذا البلد ، وأنـا جد مسرور ـ يـا صاحب الجلالة ـ بلقائي بكم وألف شكر على قبـولكم دعوة بـرنـامج «راصـدوا القرن» الـذي ينظـر إلى العـالم كما هـو على بعـد سبع سنوات مـن القرن الـواحـد والعشرين ، ومرة أخرى شكرا لكم ياصاحب الجلالة .

29 ذي الحجة 1413 موافق 20 يونيو 1993